

## محاكاة « الأزعر الكوكباوي »

( من الإشارة ٤٨ الى الإشارة ٦٥ )

البشرية . الورد ، تناثر ، وانقرض . لم يعرف لون الورد مرة . ولا طعم الخبز الابيض ! . النظرة الى نفسه تقتل والى الاخرين تقتل . واكثر ما يوجعه تلك اللحظات المتقطعة كالمخاط ، كريمة ، دبقة ، فلا هو حي ولا هو ميت . وعندما يفكر بنفسه ، تتدلق اعماقه امام عينيه فتشن جثث الايام ، ويؤرقه صرير الكوابيس الكافرة . وحينما يجول في الاحزان المترامية ، يخر صريحا بين عينيه والافكار .

عذابه يفوق عذاب اي مخلوق . انما من يفرق في لذائد العمر ، ولديه مال يعميه ، يزعه ان يفكر باحوال هذا الرجل ولو لبضع ثوان . بل يشاء ، لو تحين الفرص ، ان ينهش البقية الباقية من وجوده الدابسل .

صار ابن آدم يفترس نفسه . والارض تتقيا ترابها . ومشاعسل الحب مرفوعة بسيوف الفتك . وصار العالم يقترب عن نفسه ، في فوضى الهمجية ، بين خطوة وخطوة ..  
- وقصت يا أزعر !

وجاؤه اللقمة بين كفيه فتعثر على عتبة المخفر وسقط . وعندما حاول ان ينهض عاجله الشرطي بكعب البندقية في مؤخرة راسه فتنفجر الدم بفزارة وزاغت الجدران امام عينيه . وبشعور من النشوة ، قال الشرطي وهو يضع الصرة على الطاولة :  
- حرامي يا شاويش « دحيلان » .

وجلس جانبا . وبينما وقف الرجل مضرجا بدمائه ، كئيبا ، ينوء تحت ثقل الهوم . تجشأ الشاويش والقي نظرة على الصرة فانمطت شاربه وخداه واسند ظهره باعتزاز الى الكرسي . ابعد كرابجه الى طرف الطاولة وسحب دفتره وقلما ثم انحنى وسأل :

- اسمك ؟

...

- اسمك !

- مختار الكوكباوي

- مولدك ؟

- كوكب الهوا - ١٩٣٧ .

- مهمم الشاويش وهو غارق في دفتره :

- هويتك ؟

- سحب الرجل « هويته » من جيبه ومسلها . قرا الشاويش :

( المهنة - ) . تسأل :

- عاطل عن العمل !؟

دائما .. وعندما ينهمر السؤال من عينيه تتفرش في مخيلته كل السنين المثقلة بالعذاب .. فتتامل معه الذكريات ، دقيقة وراء دقيقة ، ليسترجع غيرها العمر منذ ان القى اخر نظرة على « كوكب الهوا » ودعس اخر خطوة على ضفة النهر ، حتى هذه اللحظة . وتبقى شفتياه القرمزيتان منطبقتين بالصمت الذي تصود ان يرويه بعلقم العيش ، الى ان تجمد في لمة الاحتجاج . تصود على الاحتضار ، هكذا ، لانه لم يعرف سواه . يفرق الشريد في الضياع ، لا احد له ، لان لا وطن له . ويفيب الفراغ عندما لا تسمعفه الاعصاب على التركيز ، فتراوده القناعة : ومن فقد الوطن ، فقد نفسه !.

تموزه فكرة ثابتة ليلقي بنفسه في احضانها . او امل يولد ولايموت في حينه . او حلم يسطع ، فجأة ، فلا يختفي لانه لا يجد ارضا تحتة . او امنية من الامنيات التي تتكاثر وراء حدود دنياه . تموزه الحياة ليبحث فيها عن رجل دفن حيا .. يزدرد الامة دون ان يعرف طعم البهجة . قتال يا زمن ! . فمن الذي عرف المرارة مثله !؟

في نفسه عزة ولدت اكبر منه ، فجعلت له عشا في احضانها . وعند لحظة الاختلال ، انداست ، حينما ودع الوطن باخر نظرة وغابت « كوكب .. » في المدى .. دفنتها ماسيه خلف هوامش الحقيقة وأرقتة كثرة الاحساس باوجاعها .. آه .. عندما يقع الفارس في السلاسل يكثر الفرسان فوق راسه !.

ها هو يتعلق بخيمة الخيش ورث الشياب واشتاه اللقمة ... ولحن الحزن ينهمر من مقلتيه . كتب عليه ان يحوم حول الاخرين .. من ينكر ان له هوامش اكبر من الصفحات بعدما رأى ان ارض العالم صارت ملكه !؟

بات النهار يتحسر قبل ان يولد . يفر الجولة اثر الجولة فسي سرايب الليل حتى تقتحمه الحقيقة . اخيرا ، تسقط اللمة ، فينحسر في حناجر الزناديق حتى يفيب . كذلك هي امنياته الجامحة باتجاهات عكسية . مختار يا مختار ، ولدت ثم قتلت مع اولى خطوات الهجرة . فاهدر يا نهر السخط . اهدر . في التدفق يولد العطاء . وعندما يحتدم اللهب ، ويسطع الجمر ويتدحرج فوق رؤوس الاصابع ، لا انت ولا الزمن ، تستطيعان ان تبقيا في مواقع الخطوات .

عندما تقتحم اللحظة حياته ينطبع اللهمسان في رواق الموت . ينطفىء . يباب في وجهه الارض . والطر يتبخر عندما يلاص انفه . والاشجار تفرق في جذورها ، تغور من شدة الخجل ، بعيدا عن وجهه

... -

- تكلم !

- تقريبا

هز الشاويش رأسه :

- يعني ، مهندس شوارع !. سكنك ؟

وثب الحزن من قوقعة الصمت . واسبل الرجل عينيه ليتخلص من شراك المخيلة . تسابق مع الذكريات في شوط مرير فسبقته . ها هي الوقفة التي يتجمد امامها مختار الكوكباوي . وقفة طويلة ، زاخمة ، تمتد بين السماء والارض تنلغ الأخضر واليابس . رأى عفيفة والاولاد في مقلتيه . والجوع الذي ينهشم . والنظرات الحائرة ، الزائفة ، الى ما لا نهاية . والامل الذي قد يسقط من المجهول . رأى المخيم ، وحياة المذلة ، والصفار الذين يتساقطون تحت وطأة الشقاء . رأى نفسه في موقفه المين ، والدم المنهر ، والشرطي الحاقد ، والشاويش المتعرج الذي ينتظر الجواب ..

قال بسخرية المهور الذي فسد الصبر :

- سكني !؟

نظر الشاويش نحوه بامتعاض وقسوة :

- قلت ، سكنك !

- قصر يلدز !

فانتفض الشاويش ، وتراقص شاربه ، وانقض عليه بالكرياج :

- تسخر يا ابن القحبة !؟ .. سكنك ؟

بين الرمشة والرمشة يختنق الزمن . ومختار ، الفارق في الهم ، يتأرجح في دائرة القهر مرة اخرى . ليته ينفض . يفيسب او يتبخر ، يا ليت ! . لكن .. بينه وبين الانفجار ميليمتر واحد مصنوع من عفيفة والاولاد . والشاويش دحيلان يقفز فوقه ويجلده بشجاعة لا توصف . اشجع من الزير سالم و « ابو زيد الهلالي » . اما هو فليس غير الكوكباوي ، الفلستيني ، ابن كوكب الهوا . النوري الاندبوري ابن القحبة ! . مط صرخة موجعة في اعماقه : « وييه ! . لولا لباسك الرسمي يا شاويش دحيلان لتنتفت شاربك ، شعرة ، شعرة .. »

- قصر يلدز .

صرخ الشاويش بالشرطي :

- كلبشه ! .

وتابع الجلد بعنف :

- سكنك ؟

قال الرجل وهو يمد يديه :

- نسويه قصر يلدز .. وراء المقبرة تماما .

توقف الشاويش وارخى كلماته باستهزاء :

- آه ! . تسمونه قصر يلدز ! . هه ! . عال ! . رخصت القصور ! .

صار المخيم قصر يلدز يا كوكباوي !؟ .

- من القهر ، يا شاويش .

- من اين سرقت ؟ .

- لم اسرق .

- والصرة ؟ .

- ملكي .

- واين كنت ؟

- في الطريق الى بيتي .

- اخر الليل !؟ .

تردد الرجل واطلق تهدة مكيوتة :

- اسمع . لم اشتغل من اشهر . عشنا على طحين « الوكالة » والفول « المسوس » وحسنات « الاجاويد » من الجيران . البطسون « فولت » ، واشتهينا لقمة « اللحم » . قبل اسبوع ، اشتغلت في « محجر » في البراري . هناك ، نمت ، وقمت ، واكلت ، وتراكم

الوسخ على بدني . ورائي امرأة واولاد .. ومن لم يذق « شهوة » اللقمة ، لا يعرف مقدار الحنين إليها . الليلة ، قبضت اجري فوضعتها في الصرة ومشيت عشرين كيلومترا على رجلي لكي لا ادفع للسيارة . تأخرت . صرت اركض حتى اختصر الوقت ، لان الدقيقة تعني اكثر من حجمها . في اول المدينة ، رأني الشرطي وقبض عليّ . هل اكون سرقت !؟ .

كان الشاويش يستمع بلا مبالاة . ولما انتهى تسال :

- اشتغلت !؟

- مثل الحمار . كسرت الصخر وحملت القفف . هلكت ! .

- كذاب .

وسال الشرطي :

- اين وجدته ؟

- يتلصص بين المنازل ، يهرول ، ويمد النقود .

التفت الشاويش الى مختار :

- صحيح ؟

- نعم ، ولكن بدون تلصص .

- من قبض اجرا يعده مرة واحدة ! .

- الملهوف لشيء ، يظل يتحسس دائما .

- وهو يهرول !؟

- وهو يموت !

أطلق الشاويش صريرا مخنوقا وحرك رأسه كمن يشعر بالخديعة .

خاطب الشرطي :

- اجلس خلف الطاولة ، وسجل في المحضر .

فامتثل الشرطي وبعد ان تاهب املى الشاويش :

« ضبط يتلصص بين المنازل وبحوزته صرة نقود . اوقف الفاعل ،

وحفظت الموجودات لحين البلاغ »

واخذ الورقة عن الطاولة واستندار نحو مختار :

- وقع ؟ .

- لا اوقع على شيء لم ارتكبه .

- حكاية قديمة ، وغيرك اشطر . سنحقق معك ونجلك حتى توقع .

- القريب لا يخاف البلبل .

- ستندم . ما علق مخلوق بيدي الا استغاثت مواجهه وتساقط

جلده . ومن بعدي ، يأتبك العريف « دهيم » . متخرج من بين يدي .

متهور . قصير البال . ولا يعرف الرحمة الا في الاخرة .

خلع سترته وبدأ يشتم عن ساعديه ...

\*\*\*

في لحظة ، مادت الارض وتلاطمت نبضات الحياة وزلزلت الاشكال .. وانبتق من الحلم ، خيال لعالم اخر فاخذت خيوط المنكبوت تكبل انفاسه . وبزغ من بين الحدقتين مارد حالك السواد ، هلامي الملامح ، انفلس الى ما لا نهاية . ها هو كيسان يختنق ويولد اخر مشحون بدمى مثقلة بمرساة . سقط في قاع بحر من القار فتراكمت فوقه ملايين الانسان من السواد ، وراحت اشباح مبنذقة تسبح في خضم الديجور ، وبقي هو عالق في الصدمة :

- عيب ، يا شاويش دحيلان . تتهمسسي بالسرقعة وتسرق رزق

اولادي !؟

فهذه الشاويش وهو ينطلق الى الشارع :

- كيف ، اذن ، ساعيش ؟ .

وحده ، الشاويش دحيلان ، يستطيع ان يتجول في مثل هذه الساعة ، دون ان يجزؤ احد على الوقوف في وجهه او التحقيق معه . لو كان مثل غيره ممن لا يملأون الوظيفة بهذه الشياخ لاختفى وراء الجدران من اول الليل ولما استطاع ان يطل برأسه الا مع اطلالة الشمس . سمع وقع حدائه الذي يهزق الصمت ، وبتق ليل المدينة ، فشمس بالاعتزاز . حذاء الشاويش ولا كل الاحذية .. فريد ، متلاهي ،

له سمات الوجود الحقيقي وفيه « فعل » التفسير .. « الشيء » الذي يخلق كل شيء في الفراغ اليتيم .. المصنوع من الذهب الخالص في زمن الجلد .. فصار الخاتم الوحيد الذي يمر به ليحدد ملامح العصر .. وصار الانسان ، بالرغم من سعة حجمه ، يضيع في صغر المسافة بين الحذاء والارض . حذاء الشاويش ، ورد فواحة الشذى ، طالعة في الجذب لتزين وجه المدينة .

رفع ذراعه ليفتح ازرار سترته . تحسس صدره لهنيهة والقسى الذراع . اصفى الى البخطوات مرة اخرى ، وفكر : « كن شرطيا ، ولا تكن فيلسوفا » . ضحك بصوت مكتوم و اضاف : « ببساطة ، يفعل الشرطي كل شيء .. لو فكر الازعر ، لانتج بانه لن يكون ارجل من غيره على الاطلاق . وان الرجال في مخافر الشرطة اضعف من النساء عند المصائب .. خصوصا اذا وقفوا بين يدي الشاويش دحيلان » . رفع قبضته والقى عليها نظرة ، واكمل بفخر : « .. وتحكمكم بالسيف ، وشعارنا السيف ، وليس لمن يعارضنا الا السيف » . هاهاها .. دحيلان خيالك يا عفره !

وعندما وصل الى البيت ، اخرج المفتاح من جيبه ثم دسه في الباب وتحنجج .

رد صوت من الداخل :

- دحيلان ؟

- اي ..

ثم فتح ودخل . قالت « عفره » :

- يا هلا ..

وتبسمت ، فمد يده وقرصها تحت ابطها :

- تميان يا « حرمة » !

- سلامتك .. على غير عادة !؟

- اوف ! « استكانة » شاي ، وسأشرح لك كل شيء .

- ولو !

وذهبت . تردد هو في وقفته .. راح يسرح النظر في ارجاء البيت .. رأى « عفره » مطيعة قفاها والابريق في يدها .. والاولاد غارقين في النوم ولهم هدير كالفطط .. تذكر الكوكباوي ، فجأة ، ولسعات الكرياج ، واستهوانه من اجل الصرة ، فانطش في مخيلته بريق ساطع للحظة واختنق .

جلس وتنهَّد :

- نكد لكم وتعب .. وفي النهاية ، تديرون لنا ظهوركم يا اولاد .. !

قالت عفره :

- تاخرت ؟

تنبه لكلمتها فعاد الى طبيعته :

- سأسرد عليك الحكاية .

- حكاية من ؟

- الازعر الكوكباوي صاحب الصرة .. سلخت جلده !

- يعطيك العافية ..

- الشاي ؟

- على النار . ماذا فعل ؟

- كبير نفس ، ولسانه طويل ، ورأسه اعند من الصخر . كانه لم

يدخل المخافر من قبل .

- حرامي ؟

- ووقع في اللحظة المناسبة .

ضحكت عفره :

- جديد في الصنعة !

(٤) من شرائع عبدالعزيز ال سعود في حكم شعب الجزيرة .

ثم اطفات النار ، وحملت الشاي فوق صينية فضية . ملأت فدحين صغيرين حركتهما بالملقعة ووضعت الابريق على الطاولة . جلست واستندت ذقنها على قبضتها :

- الحكاية من اولها ؟

جوع جرعة شحيحة فتصاعد لها صوت . اسبل عينيه ، وفتح بانتشاء :

- آه ! « دمة » من يد لا اعدنها !

ونثى على كلامه بقرصة ناعمة وتابع :

- زين ! . اين صرنا ؟ . قبل حوالي ساعتين ، كنت جالسا في

المخفر واذا بالشرطي يحمل صرة بيده ويدفع رجلا الي ..

وقرع الباب فتوقف عن الكلام ، فجأة ، واصفى بحذر . وخلال

لحظة صمت ، تبادل مع عفره نظرات سريعة ، فبادرته :

- كالعادة . شرطي يحمل اليك مشكلة .

نهض عن كرسيه ومشى بكسل . وما ان طق القفل باصبعيه وفتح دفة الباب واطل ، حتى اخذه الارتباك فتراجع الى الوراء وقد تملكه الفزع وخارت قواه . حملق بدهشة فلم يصدق عينيه . وقيل ان ينطق بكلمة ما ، زحفت البندقية ، تشق طريقها في الظلام ، حتى اقتربت من حاجبيه :

- مساء الخير يا شاويش دحيلان !

سقط الزمن ، في لحظة من تلك اللحظات التي تشنح يبسن الحياة والموت ، عندما تجمد الشاويش فوق ساقين ابتلعهما الفراغ . فصار يهوم في لهائه ، لأول مرة ، منذ ان لبس البذلة العسكرية وتمنطق بالنطاق اللماع . ها هو ينوق طعم الرعب بعد ان تداعست الكبرياء ، وتقلب الاية ، وتتناوح في مخيلته مئات القناديل المطفأة التي كانت لهنيهات ، تضيء دنياه . ولم يعد يمي غير النبضات المتراكسة تدق صدره بعصبية :

- ا .. ا .. انت !؟

- هس !

وكضت عفره . ولشدة ارتماها كادت تصرخ . فاشار اليهما معا ، من خلف البندقية :

- بهنوه ! . بهنوه والا طرزت جبينكما بعشرين رصاصة .

رفع الشاويش كفه وبسطها على فم زوجته . تانا :

- كيف خرجت !؟

- اذا قطعت لسانك لحظة ، وكففت عن النوايا التي قد تساورك ،

لقلت لك كل شيء .

- ه .. ا .. !

- بعد ان خرجت ، وقف الشرطي وطلب مني ان اوقع على المحضر . بالطبع ، رفضت ، لانه محضر ملقوك وكاذب . وحسب توصياتك وروتين المخافر ، سحب الكرياج وانهاه علي ليكمل الشوط الذي بدانه انت . مزقني ! لا رحمة ولا شفقة . انظر ؟ انظر الي كيف انزف ؟ . راسي ؟ . وجهي ؟ . ذراعاي ؟ . طفق الكيل ، ولم اصبر . ففتر القهر بين عيني وانهار الكون في وجهي . آه يا عمر الالهانة ! . ضربته بجماع قبضتي دفعة واحدة ، فسقط يتخبط على وجهه . تناولت البندقية من مكانها وصوبتها نحوه ثم طلبت منه ان يفك القيد . هرع مثل الفار ! . دس المفتاح ، ولشدة ارتعاشه ، ترك القيد يسقط . عندئذ وقفنا وجهنا لوجه ، في لحظة متهربة كهذه ، بعد ان انعكس حظه ، وانعكس حظي . قلت له : الان ، وقد وقعت في موقف يشبه الموقف الذي كنت انا فيه ، تستطيع ان تقارن ، ايها الشرطي ، اينما اكثر صلابة .. وان اللباس المنمق الذي ترتديه ، والازرار الملمصة التي ترصعك من فوق الى تحت ، لا تكسبك ، بالضرورة ، صفة خاصة . لم يجب . بقي واقفا كالاحرس . حينئذ ، لطمته بكعب البندقية في مؤخرة راسه لكي ارد له الدين بنفس مكيااله ، وقيدته وحشره في « النظارة » ووضعت المفتاح في جيبي ، وجئت اليك ..

- تسخر ، بينما أنت في هذه الحال ، والدم يطرر وجهك !!  
- لو كنت مثلي، تتجمع هموم الدنيا فوق رأسك ، فتفرق في الجوع  
والمذلة ، ويستفكك الناس ، وتفهرك السلطة ، ويهرب الله من وجهك،  
ويسرق الشاويش رزق اولادك ليطعم اولاده .. لفقدت الطعم الحقيقي  
للبياء ، ولجفت الدموع في مقلتيك ، ولاصبح لا مفر امامك من  
الضحك .. لماذا فعلت بي ذلك ؟

- فعلت ماذا ؟

- لطحيت الصرة .!

تردد الشاويش ، وهمهم بلا مبالاة :

- نسيت اننا نعيش في فابة واحدة ؟

- فاخذت دور الوحش الكاسر !!

- والا اصبحت ضحية .. ورائي افواه وبطون لا تشبع ، والارض  
تدور ونحن عليها ، وكل لحظة نمر انما هي فريسة ولا تنكر .. وهي  
لشدة وقعها ترك اثرا محفورا في الوجه ..

- صحيح ؟ اصغ اليّ اذن ، واحسب في المخيلة سنين طويلة  
من الجوع والفربة ، مضروبة بالشهور والايام والساعات والدقائق  
والثواني .. وانظر الى وجهي ؟

- وارى في عينيك ظلي الذي يسبب لك الشقاء !!

- آه .. اه .!

- اليس كذلك ؟

- نعمي ، ولا تنهش ظهري .

- وتضرب شرطيا وتسحب السلاح على شاويش ؟

- بعد ان مزقني الشرطي باوامر رئيسه .

- ما الفرق ؟

- كالفارق بين ان يسرقني الشاويش ، وان استرد منه ما سرق .

- اقول ، يا كوكباوي ، ان الاوان قد فات وخسرت نفسك . لو  
انتظرت ، لانتهدت القصة بطلوع الفجر .

- اعرف ، يا شاويش ، أنك لن تقطع رأسي . اهنتني ، فاهنتك .  
- اخذت بشارك !! .

- احيانا ، تسقط المصائب فلا نملك القمره على تحملها .

- سيكون العريف « دهيم » في اثرك .

- لذلك اتيت بك لكي لا يجبرني على مخاطبته بالرصاص .

- ماذا تقصد ؟

- عندما يكون الشاويش في قبضة المطلوب فالعريف اجبن من ان  
يتصرف على هواه .

- وهل يختلف الامر ؟ .. اين ستذهب ؟ .. لن اطيّر من الدنيا !

- في الواقع ، لن اطيّر . لكن الامر يختلف عندما اقع في اخر  
الشوط لا في اوله ، تماما كالاختلاف بين ضرب العميان وضرب  
الفرسان .. من هنا !

وانطفنا الى اليمين ودخلا في زقاق معتم . وفيما كان لهما  
يتردد ، شمر الكوكباوي بالظمانينة تقتحم عليه فوضى الافكار وتبدد  
بعض مخاوفه . فقد كان يخشى ان يداهمه العريف في منتصف الطريق  
فيشتبك معه وتطير الصرة قبل ان ينهي المشوار . اما وقد قطع هذه المسافة  
وانتهى الامر ، فيذهب العريف الى جهنم .

نقر على ظهر الشاويش ببطء ، وهمس :

- قف .

وتقدم لواجهه . اخذ الصرة . اتكا على باب الصفيح . فرعه  
ونادى :

بفت الشاويش :

- ضربته !!

- اوف .. عجيبة !!

تردد الشاويش قليلا ، فيما ارتسمت على وجهه تماييعاتية :

- لو طال صبرك لترتكناك في الفجر .

- وتكون قد سطوت على رزقي ونمت مع الزوجة منتفخ المعدة .!

- الصرة ولا رقبتهك .!

- لا . رقبتي ولا الصرة . ففيها رقاب اولادي .

- مجنون يا مختار .!

- يخيل اليك ان من يضرب شرطيا في هذا الزمن الملون ، انما

يكون بالتاكيد ، قد فقد عقله . لماذا ؟ اتولدون من بطون امهاتكم

تحت ضوء القمر وعلى صدوركم ازرار تلمع وفوق رؤوسكم خوازيق !!

...

- تكلم !! ساكت مثل الصنم .! اما في المخفر ، فقد كان صوتك

يزلزل الجدران وضربتك تقصم الصخر .. تفضل معي؟

- ماذا تريد ؟

- اريدك أنت والصرة .

ترتت الشاويش بعد ان شعر بالقلق :

- ولماذا انا ؟!

تنهد مختار ثم رماه بنظرة طويلة وبطيئة :

- رفقة مشوار .

وهز البندقية في وجهه . فخاطب الشاويش زوجته :

- احضري الصرة عن الطاولة .

واكمل لمختار :

- لكنك ستندم .

- بعد ان يصل المال لمن ينتظره يهون كل شيء .

وعندما جاءت بالصرة تناولها الشاويش ومدّها الى مختار الذي  
خطفها بلهفة واخلى له الباب فخرج امامه . وقبل ان يتعدا ، استدار  
مختار وخاطب عفرة :

- يقال ان زوجة الشاويش، تكون بحكم الحالة الاجتماعية ، شاويشا

على نساء المدينة بأسرها . ويقال ايضا ، ان اعصاب نساء المسكربقوة

اعصاب رجالهن . فاذا اردت زوجك حيا ، لا تصرخي .

راح الشاويش يدب بفوضوية كأنه يتدحرج .. فلا الافكار الزائفة،

ولا الاعصاب الخائفة يمكن السيطرة عليها . ولاول مرة ، يسمع لخطواته

وقعا غير منتظم منذ ان التحق بالخدمة وصار شرطيا .. فقد تعود

فيما مضى ، ايام الجهد والابهة ، ان يكون شديد الانضباط حتى

في الاوقات الخارجة عن ساعات العمل ، فيفرغ قدميه بانتظام ليصنع

لحنا ، يظل يهوم في المخيلة طالما بقي يمشي . اليوم ، تنقلب

الصورة ، فتنهار امانيه ، ويهدر شرفه ، فيشعر انه مسحوق . بقى

صامتا يكظم الغيظ ، غارقا في جحيم الانهزام ، والبندقية في ظهره .

اما مختار فقد بقي ينسل وراءه كالشبح يجر جر خطواته الواهنة

ويفج باعياء . وعندما بلغا حدود المقبرة ، وانحدرا ، نفخ الشاويش،

وسال :

- من اين ؟

- كل الطرق تؤدي الينا ، خصوصا اذا كان القاصد شاويشا .!

- صاحب البيت اخبر به .. وانا ، لم اطأ هذا الطريق من

زمن بعيد ..

سخر مختار :

- اذن ، خطوة مباركة .. اين رجالك الذين جعلوا من المخيم

ميدانا للطراد ؟!

- عفيفة ؟  
وعندما انشق الباب ، ذعرت عفيفة ، وتصاعد صوت الاولاد من  
الداخل . قال مختار للشاويش :  
- ادخل !

والقى الصرة في يد زوجته ، فتراكض الصغار وراحوا ينظرون  
باستغراب . حرك اصابعه مشيراً الى وجهه وقال :

- جئتكم بالعرق الفموس بالدم . لا تندبي حظك . لياكل الصغار  
من شرف ابيهم حتى يشبعوا ويتسموا . هذا هو الشاويش دحيلان ،  
الذي لم يجمد الدم في عروقه ، الا مختار الكوكباوي .

ثم صمت لهنيهة ، والتفت الى الشاويش :

- اظنك موقفاً بانسي قادر على رد الصاع صاعين .. كم جلدة  
جلدتنسي ؟

ذهل الشاويش ، وجحظت عيناه ، ورمى بصدره الى الوراء :

!!!

- كم ؟

!!!

- ولا كلمة ؟

!!!

- هآ .. المصروب بالعصي ليس كالذي يدها !

!!!

ثم نظر الى زوجته وتبادل معها الصمت الطويل حتى تجمعت  
الدمعة في عينيها .. تراجع الى الوراء ومد ذراعيه حتى كادت تلامسان  
صدر الشاويش :  
- عادت الصرة ..

- .. عادت

- وصفاري أحق ..

- .. أحق

- وانتهى المشوار ..

- ... انتهى

- ويدي والبنديقية لك ..

وخرجا جنباً الى جنب واختفيا في الظلام .. بينما بقيت عفيفة  
كافية على الباب ...

★ ★ ★

ازاح الشرطي الصرة واسقطها في الدرج . وما ان سقط مختار  
على الارض حتى هرع وامسك بذراع الشاويش وعانبه :

- اخشى ان تكون قتلته !!

نفخ الشاويش بفيظ وتوقف :

- هذا الصنف بألف روح ..

- سنقع في ورطة !

- لا تخف .. سيعود اليه وعيه .

- لننظر الشكوى من صاحب النقود ؟

- حينئذ لا مبرر للضرب !

والقى بالكرباج على الطاولة وانزل كهي قهيصه ثم ارتدى ستريته  
ومسح العرق عن جبينه ، وقال :

- تأخرت على « عفرة » . ضمه في الداخل .

وانطلق الى الشارع تاركاً « مختار » مهرداً على الارض .. ينتفض  
مثل سمكة اخرجت من الماء .

## صيادون في شارع ضيق

رواية بقلم

جبرا ابراهيم جبرا

« صيادون في شارع ضيق » رواية من نوع آخر . فهي « رواية افكار وشخصيات » بالدرجة الاولى ، كما  
قال عنها المستشرق الانكليزي دنيس جونسن ديفز . ولكن الاهمية في « صيادون » متأمة من تصوير  
الشخصيات ومن تقديم الافكار والمواقف . والشئ الذي يجعل « صيادون » عملاً ادبياً بارعاً هو قدرة  
الكاتب على تكديس جميع هذه الشخصيات والافكار والمواقف في بوتقة صغيرة وجعلها تتحرك في مختلف  
الاتجاهات ، رغم ان واحداً من هذه الشخصيات لا يشبه الاخر شياً كاملاً . اما كيف ينتقل الكاتب من  
فكرة الى اخرى من دون ما علاقة ظاهرة ، فذلك دليل اخر على براعته .

الدكتور عبدالواحد لؤلؤة

صدر حديثاً - منشورات دار الآداب